

سُورَةُ العَادِيَاتِ

صَانِعَةُ النَّفْسِ الانغماسية

قراءة جديدة في التفسير الموضوعي

تقديم فضيلة الشيخ
أبي قتادة الفلسطيني
- حفظه الله -

صنعة
أواب بن حسن الحسني
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه
وللمسلمين أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ أبي قتادة الفلسطيني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فإن هذا القرآن له تنزلات مع كل قراءة، ومع كل تلاوة، وفي كل زمن، هي تنزلات العطاء والفتح، ليكون فيها تغيير ما في الأنفس، والذي يتبعه تغيير العالم كله، وكما أحدث هذا القرآن الحدث الأعظم يوم نزوله على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أخذه أعظم جيل في تاريخ الإنسانية، فإن كل تغيير لواقع الإنسان إلى الحق والدين لا يكون إلا من هذا القرآن، وكل تغيير هو من قبس التغيير الأول ومن مشكاته، ويكون من هذا القرآن وعطائه ونوره، فهذا قدر التاريخ كله بعد نزول هذا القرآن، يفهمه من يفهمه، ويجهله من يجهله، ولذلك أعظم الناس في تاريخ هذه الأمة هم أهل القرآن، والذين يؤولونه عملاً وتطبيقاً، بعد تأويله علماً وتفكراً وتدبراً، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: "خيركم من تعلم القرآن وتعلمه".

من أسرار إعجاز هذا القرآن هو أثره الإيماني على نفس صاحبه، يرفعه إنساناً آخر، ليس له نظر إلا إرضاء الله تعالى، وتحقيق الجنان في الدار الآخرة، ويكون له بصيرة الفهم لواقعه، لما يكون في قلبه من نور الهداية والتعريف والكشف، وأنت ترى أن أعظم الناس تغييراً في أزمنتهم هم أهل القرآن، حتى أنهم ليندمون في آخر عمرهم انشغالهم بغيره، مع أنهم أكثر الناس انشغالاً به، كما كان من سفيان الثوري وابن تيمية والسيوطي، ولا يكون هذا القول

منهم حـتى تتفجـر في نفوسـهم حُـزَمُ النـور المبهـرة الـتي تطمس عندها كل الأنوار الأخرى، فيصرخون هذه الصرخات الكبيرة.

نور القـرآن الـذي يمـدح صـاحبه هـو من فعـل إرادتـه علمـاً ودافعـاً لكشف حال زمانه، وصنع منه عاملاً مصلحاً مجاهـداً، وهـذا لا يكـون إلا ببداية ضرورية هي الأنس بالقرآن، ودوام الصحبة له، حتى يكـون من أهله، فإن هذا القرآن عزيز، لا يبذل نفسه، بل هـو شـامخ عـال، يُرتقى إليه بالذلة والبذل والسؤال والمجاهدة، ولهذا فإنــك إن رأيت مهدياً للقرآن يعالج به نفسه وزمانه، فاعلم أن خبيئات وقته هي مـع القرآن، يأنس به حين يأوي إليه، وأعظم المعالجات هي الـبراءة من حب الدنيا وكراهية المـوت، ودفـع النفس لتبـذل شـهادة في سـبيل الله تعالى.

في هـذا الجـزء الـذي سـماه صـاحبه بهـذا الاسـم العجيب (سـورة العاديـات صـانعة النفس الإنغماسـية والـروح الاستشـهادية)، ترفـع همتك من قراءة هذا العنوان أن هاهنا قرآناً عظيماً، وسورة عظيمة، ومهمة قادمة، فيها أعظم صفقة، هي صـفقة الشـهادة، يقـترن فيهـا أن هذا العلم ليس متعة ذهن، ولا سياحة كلمات فقط، بل هنا قـرآن حي، لقلوب حية، ولمهمة هذا الزمان بل أعظم مهمهاته وهو الجهاد في سبيل الله.

ثم حين تذهب مع كلمات هـذا الجـزء وإذا هـو مـذاكرات مجاهـدين، وإرشادات شهيد، في أمكنة خاصة، تصـلح لأعظم التـنزلات، إذ فيهـا الزهد والجهاد والشهادة وذكرى الدار الآخرة.

مع هذا الجـزء تـرى مصـطلحات عجيبـة: (سـورة جهاديـة)، وقـراءة نافـذة لكلمـات السـابقين ليبـنى عليهـا مطـالب لزماننـا هـذا، وهي ضرورة صناعة النفس الإستشهادية، والـتي تـركض إلى اللـه تعـالى سـبحانه، لا تلفت إلا إلى غايتهـا من رضـى الـرحمن وبلـوغ الجنـان، وحين ترسل نفسك مع الفتح، فإذا هو مضبوط بضبط العلم والفقه، وقواعد التفسير، فلا تجاوز لهذه القواعد كما يفعل مـدعو القـراءات

الجديدة للقرآن، فيقولون على الله الباطل، وعلى القرآن الغلط، بل هي قراءة لقراءات السلف الذين نثروا دررهم خفية مع هذا القرآن، كما أن القرآن يعطي في كل وقت نوره لأهله في أزمنتهم المختلفة، وقضاياهم الحادثة.

هذا الجزء فيه العلم المطلوب، والذي فيه شحن الذهن، وتمضية الإرادة، وتغيير النفس، وحوادث الزمان، من قوم هم أهله، في أكرم الساحات وأجلها، هي ساحة الجهاد، يسجلها التلميذ من فم الشيخ الشهيد، فهي سلسلة الطهر والبركة والعطاء الإلهي، فما أكرمها من كلمات وفتوحات، وما أكرمها من أمكنة، وما أكرمها من نفوس، هي كلها صناعة هذا القرآن الكريم، كلام ربنا الجليل.

ثم تأمل هذه الكلمة (سورة العاديات صانعة)، فهي عند صاحبها بتوفيق إلهي ترسلك لعملية (صنع)، لتعلم نوع السبيل الذي ستسلكه مع هذه القراءة، وهو سبيل الفعل، المبني عن علم وهداية وتوفيق.

لقد علمني هذا الجزء علماً مهماً، وأفدت منه الكثير، وإني لأطلب من كل قاريء لهذا الجزء أن يقرأه على وجه مختلف من قراءاته الأخرى، هي من نوع قراءة التغيير والعمل، فهذا القرآن يقرأ قراءة الإيمان والجهاد والتقوى، وما كان من القراءة التي تضاف إليه فإنها لا تقرأ إلا كذلك، وإذا كانت الإضافة عندهم تكون بأدنى ملابسة كما يقولون، فإن هذه الرسالة مضافة للقرآن بأعلى إضافة وتعلق، فهي من قبسه ونوعه، وقراءتها من نوع قراءة سيدها التي تضاف إليه، تقرأها لتدخل في أهلها، ومكانها وصاحب كلماتها، تقبله الله في الشهداء.

والحمد لله رب العالمين.

تقريظ فضيلة الشيخ أبي محمد المصري

الحمـد للـه رب العـالمين، والصـلاة والسـلام على أشـرف الأنبيـاء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد اطلعت على ما سطره الشـيخ أواب الحسـني ومـا أفـاض اللـه عليه من جمال العبارة، وجمال الدلالات، وجمال الاستنباط، وجمـال التحريض والحث على الجهاد والاستشـهاد، مـع تواضـع جم، وحـرص جميل على ذكر مشايخه وأهل الفضل ممن لهم فضل عليه، فجـزاه الله خـيراً على هـذه البدايـة الجميلـة الطيبـة، وأشـد على يديـه في الاستمرار والبحث والتقييد للمسائل وطرحها وعرضها بهذا الأسلوب العلمي البديع، ورغم قلة بضاعتي وجهلي إلا أنني وجدت هذا البحث الطيب يسير على قواعد وأصول أهل العلم، وأرجو أن يكون له نفع عظيم لدى شباب وعلماء ودعاة ومشايخ الأمـة، ففيـه من الوقفـات الجميلة التي تخاطب وجدان الشباب والعلماء والدعاة، وتحثهم على النفـير للـدعوة والجهـاد، ولا تـدع لهم مجـالاً للتخلـف عن الـركب المبارك الذي يقف حجر عثرة وسد منيع في وجه مخططـات أعـداء الأمة من اليهود والصليبيين.

وهـذا البحث الطيب المبـارك يُعَـدُّ نقلـةً علميـة جديـدة في علم التفسير، وسيكون سفراً جديـداً في قـراءة جديـدة لمعـاني القـرآن الكريم الذي لا تنقضي معانيه، ولا تخلق مع مرور الأزمان.

كما أحث الشيخ أواب بالعمل والاجتهاد على إنهاء أكبر قدر من هذه البحوث الطيبة المباركة، والله الموفـق والمسـدد، والحمـد للـه رب العالمين.

نصيحة فضيلة الشيخ أيمن الظواهري

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه

فضيلة الشيخ الكريم/ أواب الحسني حفظه الله من كل سوء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد

أسأل الله سبحانه أن يتم عليكم نعمته، ويكمل عليكم منته، ويرزقنا وإياكم سعادة الدارين، وعز الدنيا وفوز الآخرة، وأن يدفع عنا وعنكم والمسلمين كل هم وخوف وضيق في الدنيا والآخرة، وأن يجمع الله بيننا قريبًا عاجلًا سالمين آمنين مطمئنين منتصرين.

وصلتني من فضيلتكم رسائلكم في التفسير، وسلسلتكم المباركة عن تأويل آي الجهاد، فأرجو أن يجزيكم الله عنها خير الجزاء، وأن يعينكم على إكمالها على خير وجه، وأن يجعل عملكم خالصًا لوجهه، وذخرًا لكم في الدنيا والآخرة.

وقد قرأتها باهتمام، وعلقت على ما كتبتم فضيلتكم بعض التعليقات، أرجو أن تكون صائبة.

وأرى أن تتركوا المسائل التي قد تبدو مبهمة أو غريبة، مثل مسألة انحصار القرآن في نقطة الباء، وأنتم بأنفسكم قد رددتم عليها، فأرى أن تخلصوا كتاباتكم من أمثال هذه الفرائد والشوارد، وأرى أيضًا أن تزيدوا من الاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة، حتى يشع نور النبوة من كتاباتكم بإذن الله.

كما أكبرت فيكم وفاءكم لفضيلة الشيخ دوست محمد النورستاني رحمه الله رحمة واسعة، وألحقنا به على خير.

فتقبل الله منكم صالح أعمالكم، وأستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، ولا تنسونا من صالح دعائكم، والسلام

أخوكم

أيمن الظواهري

مقدمة الجزء التفسيري

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على نبيه وعبـده، وعلى آلـه وصحبه، أما بعد:

فإن في تدبر آي الجهـاد من كتـاب اللـه جـل جلالـه، تطـواف جليـل بروح المؤمن في الملكـوت الأعلى، وتـذويق كـريم لحلاوة الإيمـان، وفيه إكساب واكتساب لملكات التفقه في الدين، لذا كان أسمى مـا يشتغل به المرء في حياته تدبر هذا الكلام الجميل والكتاب الجليل.

لقد أكرمني الله تعالى بمنـه وفضـله بمـا لسـت لـه بأهـل، فرزقـني صـحبة جماعـة من أهـل العلم والجهـاد والفضـل، فتتلمـذت عليهم، وأخـذت عنهم، ونفعـني اللـه بهم، وكـان من جملتهم وفي طليعتهم شيخي العلامة المجاهد الشـهيد دوسـت محمـد النورسـتاني - تقبلـه اللـه -، الـذي كـان دأبـه الـدائب تفسـير كلام اللـه جـل جلالـه في مجالسه، وكانت للشيخ عناية كبـيرة بتفقيـه الشـباب بآيـات الجهـاد، وقـد لازمت الشـيخ مـدة خمس سـنين حـتى استشـهاده وهـو في مجلس التفسير، حيث قصفته الطائرات الأمريكية وهـو يـدرس كلام اللـه لثلـة من المجاهـدين، فكنت ممن اسـتفاد كثـيرا من دروسـه ومجالسه وفتوحـه القرآنيـة، لا سـيما تلـك الـدورة التفسـيرية الـتي خصصها لتفسير آيات الجهاد، في مجـالس علميـة أقيمت على ذرى جبال الهندكوش بولاية نورستان الأفغانية، وكانت لتلـك المدارسـات القرآنية الجهادية ذوق فريد لا مثيل له، حيث كـانت تنعقـد في شـهر رمضان بعد شـروق الشـمس في غابـة جبليـة ذات غصـون ألفـاف، وتحت أزيز طائرات الصـليب التجسسـية المسـيرة، وكـان ذلـك في منتصفَ عام ثلاثٍ وثلاثين وأربعمائة وألف من الهجـرة النبويـة، على صاحبها أفضل الصـلاة وأتم التسـليم، واللـه يعلم أنهـا كـانت لي من أعز تباريح الحياة، وأطيبها طمأنينة، وأتمها سـكينة، حيث العيش مـع الكتاب الهادي والسيف الناصر، وقد عَلُق بالذهن منها طارف وتليـد،

فأسرعت بتقييدها شتاتا مما أسعف به الخاطر المكدود، خشية تفلتها وانعتاقها من الذهن، وجعلتها في سلسلة وسمتها بـ (تأويل آي الجهاد)، أكرمني الله فيها بتأويل آي كتابه الكريم على سنن أهل التفسير الصحيح، والتأويل المستقيم، وبثثت فيها وقفات تدبرية وقراءات تفسيرية تحت جلال وظلال آي الجهاد والإستشهاد.

فدونك أيها الناظر طرفا من فرائد شيخنا الشهيد النورستاني، وأسأل الله تعالى أن ينزل شئابيب رحماته وسحائب مغفرته على ثرى من أثرى تلك المجالس التدبرية والمدارسات القرآنية من إخواننا الشهداء، لا سيما شيخنا الشهيد دوست محمد النورستاني جزاء تفقيهه للأمة بكلام ربها جل جلاله وسنة رسولها صلى الله عليه وسلم.

ولا أنسى أن أشكر وأدعو لكل من أعانني وقومني وسددني بالمراجعة والنصح والتصويب لهذا الجزء التفسيري، ولغيره من أجزاء هذه السلسلة التأويلية، وعلى رأسهم فضيلة الشيخ الدكتور أيمن الظواهري، وفضيلة الشيخ أبي قتادة الفلسطيني، وفضيلة الشيخ حاكم المطيري، وفضيلة الشيخ أبي محمد المصري، وغيرهم ممن لا يسعني ذكرهم بأسمائهم حُبًّا وصيانةً وإشفاقًا من شيوخي الكرام في بلاد الحرمين، الذين كان لهم جهد مشكور وسعي مبرور في المراجعة والنقد والتصويب على مدى عشرة أعوام منذ أن أتممت طليعة هذه السلسلة عام 1435هـ في ولاية نورستان شمال شرقي أفغانستان، فجزاهم الله كل خير وبر وإحسان، وأسبغ عليهم نعمة الأمن والعفو والإيمان.

وهذا أوان الوقوف مع جلال آي العاديات، ومن الجليل جل جلاله أستمد العون والفتح في فهم كلامه، وأستعين به وأتوكل عليه في تحقيق المأمول من تأويل كلام ربنا عز وجل، سائلا الله جل جلاله أن يرزقني والمسلمين أجمعين دقة التدبر وكمال الفهم، إنه على

ذلك قدير، وبالإجابة جدير، والله المستعان، ومن استعان بغير الله لا يعان، والحمد لله أولا وآخرا.

جهاديَّة السورة[1]

سورة العاديات من السور الجهادية التي لم يختلف النقل عن السلف والعقل في جهاديَّتها، فقد روى ابن جرير الطبري في تفسيره من طريق مجاهد **عن ابن عباس في المراد بالعاديات** فقال : **الخيل في القتال**، وروى أيضا **عن ابن مسعود وعلي** أنهما قالا : هي **الإبل في الحج**، ورُوي عن جمع من السلف كأبي العالية والحسن ومحمد بن السائب والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وغيرهم أنها **الخيل تعدو في سبيل الله وتضبح**، وعلى كلٍّ **فالقتال والحج من ضروب الجهاد في سبيل الله** كما ثبتت بذلك الأخبار والآثار.

وقد روي في سبب نزولها أن سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشهرت شهرًا لا يُعلم خبرها، فجاء جبريل بخبرها مبشرا ومطمئنا، وهذا الشأن الجهادي يناسب قول من قال بمدنية السورة كما اختاره الإمام الحافظ ابن تيمية الحفيد، روى ذلك البزار في مسنده عن ابن عباس، ورواه يحيى بن سلام عن أنس بن مالك، ومقاتل بن سليمان في تفسيرهما، **ولا يُعلم في سبب نزول سورة العاديات خبرٌ يصح مرفوعا ولا موقوفا، والأرجح -والعلم عند الله- أن السورة من النبوءات المكية الجهادية**، التي تتضمن الإشارة بقرب فرضية الجهاد تهيئة وإلهابا للنفوس، وتربية وتزكية لها قبل دخول المعترك، والمقصود بهذا الجزء أصالة: ترغيب النفوس المؤمنة بالجهاد في سبيل الله، وحثها على بذل النفس رخيصة لله في العمليات الانغماسية والإستشهادية.

---

[1] لبعض المعاصرين قراءات عسكرية جديدة لسور القرآن ضمن إطار التفسير التحليلي واللغوي، ولعل من أميز ما كتب المعاصرون فيما يتعلق بسورة العاديات كتاب: (الإعجاز العسكري في القرآن في ضوء سورة العاديات) للعميد الركن الدكتور فاروق حسين أغا، وهو مطبوع في دار نور للنشر والتوزيع.

الميمات السبع الممهدات لتدبر القران

جرت عادة علمائنا في ثغور خراسان عند الشروع والبدء بتأويل سور القرآن، أن يبدؤوا بذكر **(المقدمات السبع)** الممهدة للفهم والتدبر السليم لكل سورة من سور القرآن، وهي: **مقصود السورة، ومسمياتها، وميقاتها، ومناسباتها، ومضامينها، وملخصها، ومميزاتها**، وبإدراك هذه المقدمات **(الميمات السبع الممهدات)** وفهمها وإدراكها قبل البدء بدراسة السورة، يسهل على المتدبر فهم السورة وتدبرها بوجه سديد، وسوف ألخص منها ما يتعلق بسورة العاديات في نقاط كي يسهل على المتدبر قطف ثمار السورة بلا عناء.

(المقدمات السبع الممهدات لفهم سورة العاديات)

- **مقصود السورة: صناعة النفس الانغماسية والروح المجاهدة الإستشهادية.**
  هذا ما ظهر لشيخنا من غير جزم بذلك والعلم عند الله.
- **مسميات السورة**: **(سورة العاديات) أو (سورة والعاديات)** بإثبات واو القسم.

- **ميقات السورة**: **الراجح أنها مكية**[2]، وهو **قول أكثر السلف، ونقل غيرُ واحدٍ الإجماع على مكيتها**، وقيل: بل مدنية، وهو مروي عن أنس وقتادة، وإحدى الروايتين عن ابن عباس رضوان الله عليهم، واختارها ابن عاشور في (تحريره وتنويره).

---

[2] أمارات كونها مكية أجل من حجج من قال بمدنيتها، فإنها قصيرة آياتها، مفتتحة بأقسام عديدة، وخطابها عن البعث والمعاد والنشور، وذلك من خصائص المكيات في الأعم الأغلب، وحجة القول بمدنيتها أن الخطاب فيها عن خيل المجاهدين، والجهاد إنما فرض بعد الهجرة، كما احتجوا بما روي في شأن مدنيتها من آثار وأخبار، ولا يخفى أنه لا تصريح في السورة بلفظ الجهاد، ولو ذكر فكم من سورة ذكر فيها الجهاد تصريحا وتلميحا وقد قال السواد بمكيتها، كالفرقان والعنكبوت وغيرهما، وأما ما روي في مدنيتها من أخبار وآثار فلا تقوم الحجة بمثله لضعف أغلبه، والله تعالى أعلم بالصواب.

- **مضامين السورة**: في السـورة **ثلاثـة أبـواب**، وفي كـل بـاب فصول، وبيانها كما يلي :-

1- **البــاب الأول : الأقســام الثلاثة**، ومــا تتضــمنه من بيــان **الأسس الخمسة الصانعة للنفس الانغماسية**.
2- **الباب الثاني : التوبيخات الثلاثة**، بطريقة الكشف الثلاثية، وما تضمنته من البيان الحقيقي للمرض الفتاك وشاهده وسببه.
3- **الباب الثالث : الترهيبات الثلاثة**، بطريقـة الزجـر الثلاثيـة، وما تضمنته من العلاج والدواء الناجع.

- **مناسبات السـورة**: سـورة العاديـات تتوسـط سـورة الزلزلـة وسـورة القارعـة، **والقاعدة عنـد علمائنـا أن جميـع سـور القرآن مترابطة وبعضها آخذٌ بحُجَـزِ بعض، وهي قاعـدة قررهـا العلامـة الفـراهي في كتابـه (نظـام القـران)، وقررها غيره كالسـيوطي والبقـاعي وغـيرهم، وعامـة مشايخنا على إثبات الربط والمناسـبة بين السـور**، وفي سورة العاديات يظهر ترابطها جليـا بين هـاتين السـورتين، فكلهـا جاءت لإجمال ما تم تفصيله في الطوال والمئين والمثـاني، وكـل منها يشرح الآخر ويفصله، في سـياقٍ وداعيٍّ آسـرٍ للنفس، وكـأن القرآن يشرع بتوديع أهله سورة سورة، حتى يصل لسورة النـاس فعندها تسكب العبرات.

وعلى كــل حــال؛ يمكننــا القــول بــأن هــذه الســور الثلاث جميعها **تشتمل على تذكير الإنسان باليوم الآخر والمعـاد** لمعالجـة الجــوانب الســلبية في الحيــاة الإنســانية، وللتنبيــه على أخــذ الــزاد والاستعداد للقاء اللــه، وثَمَّ **ثلاث مناسبات سـأذكرها** كي يتضـح المقام وبالله الاعتصام.

1- لما ذكر الله عـز وجـل في سـورة الزلزلـة إخـراج الأرض لأثقالها، وصدور الناس أشتاتا للحساب، ناسب أن يشـرح بعـدها في سـورة العاديـات كيفيـة ذلـك الإخـراج؛ وذلـك ببعـثرة مـا في القبـور من العظـام، ثم ناسـب أن

يذكر في سورة القارعة طريقة سيرهم بعد هذا الإخـراج كالفراش المبثوث.

2- لما ذكر الله عز وجل في سورة الزلزلة رؤية الناس لأعمالهم في يوم القيامة خيرًا وشرًا بقوله **{يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (6) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}، ناسب أن يشرح في سورة العاديات كيفية جمع هذه الأعمال وذلك بتحصيل ما في الصدور، وناسب أن يذكر في القارعة وزن موازين الأعمال وثقلها وخفتها ثم الجزاء عليها.**

3- لما ذكر الله في سورة الزلزلة الأعمال ورؤيتها، ناسب أن يذكر في العاديات نموذجا من الأعمال الصالحة والتي من أعظمها وأجلها بذل النفس بالانغماس في أعداء الله، وشكر الله عز وجل بجهاد أعدائه، **وناسب أن يذكر بعدها في القارعة العيشة الراضية لأهل الأعمال الصالحة الثقيلة في الميزان.**

- **ملخص السورة: السورة تبدأ بتصوير مشهد الحرب العنيفة، ثم تنتقل بسرعة لمشهد الإنسان الكنود، ثم تنتهي بمشهد البعث والنشور.**

وملخص السورة كالآتي: (أقسم الله بالعاديات ضبحا وهي الخيول الجهادية التي تضبح ضبحا شديدا من شدة عدوها، ثم أقسم بالموريات قدحا وهي الخيول الجهادية التي تقدح شرر النار بقوة اصطكاك حوافرها بحجارة الأرض، ثم أقسم بالمغيرات صبحا وهي الخيول الجهادية التي تغير على الأعداء في الصباح الباكر، فتثير بساحة الحرب غبارا كثيفا، ثم تنغمس بكل إقدام وشجاعة وسط جموع الأعداء .. يقسم الله تعالى بهذه الأقسام على أن الإنسان جحود لربه وخالقه، وأن هذا الإنسان يشهد على نفسه بهذا الجحود، وأنه شديد المحبة لمصالحه الذاتية الدنيوية، **فلتتعلم أيها الإنسان من الخيول الجهادية كيف يكون الوفاء والشكر،**

وإياك إياك أن تجحد نعم ربك وخالقك، بل اشكر نعم ربك بتقديم روحك ونفسك رخيصة في سبيله، أفلا تدري أيها الإنسان ما جزاء الكنود يوم البعث والنشور إذا بُعثِرَ وقُلِّبَ ما في القبور من الأجساد، أفلا تعلم ما مصيرك وعاقبتك إذا استخرج الله وكشف ما في صدور عباده من سرائر النيات والاعتقادات .. كن على حذر أيها الإنسان فإن رب الناس بالناس يوم الحساب لدقيق المعرفة والعلم بكل أعمالهم وأقوالهم).

هذه خلاصة السورة فيما يظهر لشيخنا، وهو يقرر بعد طول تأمل ونظر أن السورة سيقت آياتها لحث المؤمنين وتشجيعهم على شكر الله ببذل أنفسهم رخيصة في سبيل الله بالانغماس في أعداء الله، وهذا ظاهر لمن تعمَّق وتأمل في مطلع السورة وسياق آياتها.

بيان ذلك: أن الله تعالى وصف الخيول الانغماسية كيف تبذل غاية جهدها في العدو والضبح، وترخص نفسها في إيراء القدح، وتجهد نفسها بالإغارة والتبكير بالصبح، وتفدي صاحبها وراكبها في التغبر بنقع المعارك، وتخاطر بنفسها بالتوسط في جموع الأعداء، مع كون صاحب الخيل لا ينعم على خيله إلا بماء وشعير فحسب، ومع قلة العطاء وحقارته تبذل الخيول جهدها ونفسها شكرا لصاحبها الذي أطعمها الماء والشعير، **فكان جديرا بالإنسان أن يبذل نفسه وجهده لربه كما تبذل الخيل نفسها لصاحبها، ولكن الإنسان مع تواتر النعم عليه من ربه الكريم الرحيم إلا أنه كنود كفور لنعمة ربه، فيعد المصائب وينسى النعم، وهذا مرض من أفتك الأمراض التي تنتاب البشرية، فالخيول في شكر النعم خير من كثير من البشر، وقليل من عباد الله شكور**، فإن طلبت شاهدا على ذلك، فالإنسان بلسان حاله ومقاله أصدق شاهد: (وإنه على ذلك لشهيد)، وإن سألت عن أسباب هذا المرض الفتاك، فقد ذكر الله تعالى أن سببه الحب الشديد للدنيا، وتعلق الذات بها: (وإنه لحب الخير لشديد)،

وإن أردت العلاج فهو في تذكر هادم اللذات والاستعداد لليوم الآخر: (أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور...) الآيات.

- **مميزات السورة** : وهي **خصائصها الفريدة التي امتازت بها عن سائر السور**، وقد امتازت هذه السورة بما يلي:-

1- ذكر **أشرف صفات الخيول الجهادية**، وهي: العدو السريع، والقوة البدنية، والشجاعة الحربية.
2- ذكر داءين خطيرين، هما: **(كفر النعمة) و (حب الدنيا).**
3- ذكر **العلاج الإلهي الناجع** لهذين المرضين.

بعد ذكر المقدمات السبع للسورة، يحسن التنبيه إلى أن **لكل آية في كل سورة موضوعٌ ومقصودٌ يمدُّ محور السورة الرئيسي بمدد معنوي متكامل، فإن آيات سورة العاديات لم ينزلها الله للخيول والجمال، بل هي رسالة وخطاب من الخالق إلى المخلوق، والمقصود بإنزال السور تنبيه البشر**، وفي التأويل مزيد بيان وتوضيح، وعلى فتح الله وتوفيقه المعوَّل.

تفسير سورة العاديات

ابتدأ الله عز وجل هـذه السـورة بالقَسَـم، وثمـة قاعـدة تعيننـا على صحيح التدبر والفهم، حتى يتضح المعنى ويظهر المراد، فمتى سـمع المرء قسما في القـرآن فليبحث عن أركانـه الثلاثة؛ **أولهـا حـرف القسم، وثانيها المقسم به، وثالثهـا المقسـم عليـه وهـو جواب القسم**.

وهنا جاء القسم **بحرف الواو، ثم أقسم الله تعالى بـالخيول الجهادية وهي خلـق من مخلوقاتـه الجهاديـة الـتي تـؤدي عمليات انغماسية**، ولله أن يقسم بما شـاء من مخلوقاتـه، وليس للعبد أن يقسم إلا بالله خالقه.

والقاعدة في الأقسام القرآنية أن القسم في كتاب اللـه إنما يأتي لتأكيد مقسم عليه يكون موضع نزاع واختلاف[3]، **والمقسم عليه الذي وقع فيـه الـنزاع بين النـاس، ويريـد الحق تعالى تأكيده بالإقسـام عليـه في سـورة العاديـات: القضايا الثلاث التي تشتمل على الأسس المانعة لصـناعة النفس الانغماسية المجاهدة في سبيل الله**، وسـيأتي لـذلك مزيد بيانٍ وتحريرٍ.

قـال اللـه تعـالى: **(والعاديـات ضـبحا)** أي: قسـما **بـالخيول الجهادية الجارية حال كونها** جريـا شـديدا سـريعا يسـمع منهـا **صوت زحير أنفاسها** من شدة الجري.

وينبه هنا إلى أمرين:-

أولهمـا: أن القسـم لا يقـع على كـل خيـل جاريـة مسـرعة، **وإنمـا يختص بالخيـل الـتي وصـلت من شـدة سـرعتها وعـدوها**

---

[3] يراجع للفائدة كتاب (إمعان في إقسام القرآن) للعلامة القرآني عبد الحميد الفراهي الهندي رحمه الله، وكتاب (أقسام القران) للعلامة القرآني ابن القيم رحمه الله.

مرحلة الضبح، وهو سماع صوت زحير أنفاسها من شدة الجري، فهذه التي يقسم الله بها.

ثانيهما: أن صوت **الضبح مغاير لصوت الصهيل والزحير، ومغاير أيضا لصوت الحمحمة والنخير**، فالضبح صوت خاص بالخيل، يُسمع **مُنبعثًا من جوفه عند سرعته وشدة جريه.**

وتفسير لفظة (العاديات): بـ (الخيل في الجهاد) مروي عن جماعة من السلف كابن عباس وعكرمة ومجاهد وعطاء وقتادة وسالم والضحاك ومقاتل ابن سليمان، وهو قول جمهور أهل اللغة والتفسير وأكثر السلف وأغلب الخلف، وصح بذلك السند عن أكثرهم، ورجحه شيخ المفسرين ابن جرير يرحمه الله.

وروي عن بعض السلف كابن مسعود وعلي بن أبي طالب والنخعي والقرظي والسدي بأسانيد صحيحة عن أكثرهم أن المراد لفظة (العاديات): (الإبل في الحج).

والقول الأول أقوى وأرجح رواية ودراية، فإن الخيل أشرف من الإبل، فالإبل أخص بحمل الأثقال، وأما الخيل فإنها أخص بنصرة الرجال، ثم إن خيل الجهاد أشرف الخيول، وأعلى مقاما من إبل الحج، كما أشار إلى ذلك الإمام ابن القيم يرحمه الله.

وسواء أكان الموصوف خيلاً أم إبلاً تبقى هذه الأوصاف تحمل الصفات ذاتها التي أقسم سبحانه بها، لأن المقصود من القسم ليس عين المُقسَم به، وهو الخيل أو الإبل، وإنما أراد الله صفاتها، ولذا لم يقسم الله تعالى بذات الموصوف، فلم يقل مثلا: (والخيل) ولا (والإبل) مثلما أقسم بالطور والتين والشمس إلى غير ذلك من الأقسام الصريحة، بل قال سبحانه: (والعاديات، فالموريات، فالمغيرات) لأن الدلالات التي تحملها هذه الصفات ذات أثر كبير في صناعة النفس الانغماسية، وهي الدلالة الكلية للسورة.

وأما مقصود الآية فيما يظهر -والعلم عند الله-؛ فمقصودها: **صناعة المبادرة الخاطفة، والحركة السريعة، والنشاط الجم في أصحاب النفوس الانغماسية لبذل أقصى طاقة وجهد حال حركتهم، فإن الضبح لا يسمع إلا إذا احترقت صدور الخيل بلهب الأنفاس**.

وقد ذكر بعض المختصين أن صوت الضبح لا يصدر من الخيل إلا عند بلوغ تعداد شهيقه وزفيره مائة وخمسين مرة في الدقيقة الواحدة، كما أن ذلك لا يصار إليه إلا إذا عدا الخيل عدوا لا مزيد عليه، بأن يمد ضبعيه حال جريه حتى لا يجد مزيدا، حتى كأنه على الأرض طولا كما يقول أبو عبيدة وابن فارس، ومتى ما كانت هيئة الخيل بهذا الشكل، كان لفظ الضبح في الدلالة على هذه الصورة لا يعادله أي لفظ آخر في تصوير السرعة والجهد الذي بذلته الخيول الجهادية.

ويُعدُّ العدو والجري السريع في القتال من أشرف أوصاف الخيل، وإنما كانوا يعدون الخيل لذلك، **فيستفاد منه إعداد آلات الجهاد على هذا الوصف والنمط**.

قوله تعالى: (فالموريات قدحا) أي: وقسما **بالخيول الجهادية المشعلة لشرر النار عند اصطكاك** حوافر أقدامها بكل قوة في صخور الأرض.

ومقصود الآية فيما يظهر -والعلم عند الله-: **صناعة القوة البدنية، والأقدام الثقيلة، في أصحاب النفوس الانغماسية لتكون معينة لهم على إرهاب العدو وتقحم المخاطر**.

والقدح ضرب من ضروب الإيراء غير الإشعال والإيقاد، لأنه إيراء شرر ينتج عن احتكاك واصطكاك، وهو يرى ليلا في الأغلب أو بغلس، **وإنما عبرنا بالإشعال جريا على طريقة السلف الصالح في بيان معنى الاسم العام بمثال قريب له أعم**

يكون خارجا عن معناه المطابق، أو بما يكون معبرا عن لازم اللفظ.

وفي الآيتين السابقتين **جمع بين لهيب الصدور، ولهيب الأقدام**، وهي دلالة صدق وإخلاص.

قوله تعالى: (فالمغيرات صبحا) أي: وقسما **بالخيول الجهادية المهاجمة** لأعداء الله **مع دخول الفجر**.

وقد قيل في المراد بالعاديات والموريات والمغيرات أنها الخيل؛ **جريا على أن الأصل في القسم القرآني المعطوف أن يكون من جنس ما عُطِف عليه**، وكذلك فإن وصف العدو والضبح والإيراء والإغارة ألصق بالخيل وأوضح وأشهر، والله أعلم.

ومقصود الآية: صناعة الحماسة والشجاعة والمهاجمة والتبكير بالأعمال الجهادية، وغرس ذلك في النفوس الانغماسية.

قوله تعالى: (فأثرن به نقعا) أي: **فهيجت** الخيول الجهادية **بشدة جريها وهجومها** في ساحة القتال **غبارا كثيفا مرتفعا**.

ويظهر أن المقصود بالآية مشروعية صناعة الإرهاب في نفوس أعداء الله.

ويفهم من سياق الآية أن إثارة النقع إنما تكون لما كان مستقرا ساكنا بالأرض، **وفي إثارة الخيل لها ما يدل على شديد جهدها وصدق بذلها، فإن عادة الأرض بالصبح أن تكون مبتلة بالطل، فلا يثار نقعها حينئذ إلا بشديد جهد**.

والنقع يرى نهارا في الأغلب، وسبق أن القدح غالبا لا يرى إلا ليلا، **فتقابلا**.

قوله تعالى: (فوسطن به جمعا) أي: **فتوسطت** الخيول الجهادية الانغماسية **بفوارسها الانغماسيين جموع الأعداء.**

ومقصود الآية فيما يظهر -والعلم عند الله-: صناعة النفس الانغماسية الأبية، والروح الفدائية الإستشهادية.

وبهذه الآية ينتهي مشهد الخيول الجهادية في الحرب، وقد لوحظ فيما سبق أن جميع العطف في الآيات السابقة يعود إلى معطوف واحد وهو العاديات.

وقد كان شيخنا الشهيد دوست محمد النورستاني -تقبله الله- لا يستبعد إضافة وجه في تفسير الآيات السابقات، وهو معنى عصري بديع، وقد قال به من قبل الشاه عبد القادر الدِّهلَوي يرحمه الله في تفسيره (موضح القرآن) حيث قال في تفسير العاديات ما ترجمته: (هذا قسم بفرسان المجاهدين أو بكتائب المجاهدين)، ونقله عنه العثماني في تفسيره (معارف القرآن)، وقد أشار البيضاوي في تفسيره إلى هذا الاحتمال فقال: (ويحتمل أن يكون القسم بالنفوس العادية إِثْرَ كَمَالِهِنَّ)، قال القونوي في حاشيته على تفسير البيضاوي: (شبه سعيهم في تَحْصيل الكمَال بالعَدْو والجري، والجامع سببية الوصول إِلَى المقاصد تنبيهًا للمعقول بالمحسوس)، ثم قال: (أقسم الله تَعَالَى بخيل الغزاة إظهارًا لشرفها مَنْطُوقًا، وإظهارًا لشرافة الغازين بالأولوية ودلالة النص، ففيه مدح لهم بأنهم خالفوا النفس والهوى حيث بذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل اللَّه، ولم يكُونُوا كنودًا، بل كانوا شكورًا ومطيعين ومنفقين، وإن كان الْمُرَاد النفوس العادية إِثْرَ كَمَالِهِنَّ فالأمر واضح).

وعليه فيحتمل التأويل أن يكون القسم بالفرسان الاستشهاديين، وكتائب الفدائيين والانغماسيين، وهذا معنى يحتمله اللفظ من باب دلالة النص والأولى، والتفسير على المعنى ولازم اللفظ، أو القياس والإشارة، أو حمل اللفظ على عمومه دون النظر إلى سياقه الوارد فيه، ولهذا الباب أصول وشروط مبثوثة

في مظانها، وقد أشار إلى بعضـها الإمـام ابن القيم في كتابه (أقسام القرآن).

ولا مـانع من القـول بـأن دلالـة الضـبح على النفـوس الانغماسية من باب المجاز لا من باب الحقيقة، لأن وقوع المجاز في القـرآن ثـابت عنـد أهـل التحقيـق، أمـا العـدو والجري فهو قدر مشترك بين الإنسان والحيـوان، بخلاف الضبح فهو خاص بالخيل من الحيوان لا بالإنسان، غير أنه صحَّ عن السلف كما سبق حمل الآية على الإبل، والإبل لا تضبح، فيكون القول بذلك متضمنا لقـول السـلف بوقـوع المجاز في القرآن، فيصح إذا حمـل العاديـات والموريـات والمغيرات على بـني آدم، وهم كتـائب الانغماسـيين كمـا أسلفنا، والصواب أن المجاز ثابت وواقع في لغة العـرب، وواقـع في الكتـاب والسـنة أيضـا، والتحقيـق أن القـول بنفي المجاز مطلقا أو نفي وقوعه في القـرآن مرجـوح، كما قـرره المحققـون من أهـل الصـنعة[4]، كالإمـام أحمـد وجمهور أصحابه، وهو أحد قولي شيخ الإسلام ابن تيميـة - رحمه الله -، وقد نقل العلامـة القاسـمي في تفسـيره (محاسن التأويـل) (17/6156) فتـوى شـيخ الإسـلام في اشتمال القرآن على المجاز.

وممن ذهب للقول بـذلك جماعـات من أكـابر أهـل العلم، كالبخـاري والـدارمي وابن قتيبـة والطـبري والسـمعاني وغيرهم في آخرين.

وسـواء حملنـا دلالـة اللفـظ على خيـول الجهـاد أو على المجاهدين فإن في إظهار شرف الخيول الجهادية بدلالـة المنطـوق إظهـار لشـرف من يقودوهـا لسـاحات الحـرب

---

[4] من أفضل الكتب المعاصرة التي حققت هذه المسألة وحررت النزاع فيها، كتاب (المجاز من الإبداع إلى الابتداع) لفضيلة الشيخ الدكتور عبد المحسن العسكر - حفظه الله -، وقد قدم لكتابه الشيخ العلامة عبد الرحمن البراك- حفظه الله وبارك في عمره - بمقدمة مفيدة يحسن مطالعتها.

بدلالة الإشارة وفحوى الخطاب، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك من كلام العلامة القونوي - رحمه الله - في حاشيته على تفسير البيضاوي.

ثم إن القول بجواز إحداث قول ثالث جديد معتبر لم يقل به السلف في التأويل، هو الأصوب والأرجح عند المحققين من أهل العلم، حتى وإن اتفق السلف في قولين على أن المقصود بـ (العاديات ضبحا) حيوان لا إنسان، إما خيل أو إبل، فيجوز على الأرجح إحداث قول ثالث شريطة أن يكون قولا صحيحا معتبرا جاريا على وفق كلام العرب ولغاتهم في الاستنباط، بأن تحتمله الآية وتدل عليه دلالة حقيقية على مقتضى اللسان العربي المبين، وأن لا يكون هذا المدلول أو المعنى المستنبط مخالفا لكتاب أو لسنة أو مبطلا لإجماع، وأن لا يُقصر معنى الآية على هذا القول الجديد، ويترك ما ورد فيها عن السلف، فهذه ثلاثة شروط يجب على المفسر مراعاتها.

والمقصود أنه لا يمكن بحال قصر معاني القرآن على ما ورد عن السلف فحسب، لأن القرآن حمال أوجه، وهو صالح لكل زمان ومكان، وله في كل زمان تنزلات يفتح الله بها على عباده وأوليائه، ولم يقل أحد من أهل العلم أن السلف قد أتوا على جميع محتملات المعاني القرآنية، أو أنه لا عبرة بتفسير غير تفسير السلف، وقد أحدث الشيخ الأمين الشنقيطي في أضواء البيان أقوالا لم يقل بها أحد ممن سبقه ورجحها، كما في تفسيره لقوله تعالى: (جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ)، حيث قال رحمه الله: (فَالْآيَةُ الْكَرِيمَةُ يُفْهَمُ مِنْهَا مَا ذَكَرْنَا، وَمَعْلُومٌ أَنَّهَا لَمْ يُفَسِّرْهَا بِذَلِكَ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، بَلْ عِبَارَاتُ الْمُفَسِّرِينَ تَدُورُ عَلَى أَنَّ الْجُنْدَ الْمَذْكُورَ الْكُفَّارُ الَّذِينَ

كَذَّبُوهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَأَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَوْفَ يَهْزِمُهُمْ، وَأَنَّ ذَلِكَ تَحَقَّقَ يَوْمَ بَدْرٍ أَوْ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَلَكِنْ كِتَابُ اللَّهِ لَا تَزَالُ تَظْهَرُ غَرَائِبُهُ وَعَجَائِبُهُ مُتَجَدِّدَةً عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، فَفِي كُلِّ حِينٍ تُفْهَمُ مِنْهُ أَشْيَاءُ لَمْ تَكُنْ مَفْهُومَةً مِنْ قَبْلُ، وَيَدُلُّ لِذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي جُحَيْفَةَ الثَّابِتُ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ لَمَّا سَأَلَ عَلِيًّا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - هَلْ خَصَّهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِشَيْءٍ؟ قَالَ لَهُ عَلِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: لَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِلَّا فَهْمًا يُعْطِيهِ اللَّهُ رَجُلًا فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ. الْحَدِيثَ. فَقَوْلُهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: إِلَّا فَهْمًا يُعْطِيهِ اللَّهُ رَجُلًا فِي كِتَابِ اللَّهِ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ فَهْمَ كِتَابِ اللَّهِ تَتَجَدَّدُ بِهِ الْعُلُومُ وَالْمَعَارِفُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ عِنْدَ عَامَّةِ النَّاسِ، وَلَا مَانِعَ مِنْ حَمْلِ الْآيَةِ عَلَى مَا حَمَلَهَا عَلَيْهِ الْمُفَسِّرُونَ وَمَا ذَكَرْنَا أَيْضًا أَنَّهُ يُفْهَمُ مِنْهَا، لِمَا تَقَرَّرَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَنَّ الْآيَةَ إِنْ كَانَتْ تَحْتَمِلُ مَعَانِيَ كُلُّهَا صَحِيحَةٌ، تَعَيَّنَ حَمْلُهَا عَلَى الْجَمِيعِ، كَمَا حَقَّقَهُ بِأَدِلَّتِهِ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ تَيْمِيَةَ فِي رِسَالَتِهِ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ). (3/ 148).

وكيفما كان الحال؛ فإن القول بحمل دلالة (العاديات) على رجال الجهاد، أو قياس مدلول (العاديات) على مدلول (الموريات والمغيرات)، قول وجيه له حظ من لسان العرب وتفاسير السلف، **وهو ضرب من أضرب التجديد المعتبر في التفسير بأصوله وشروطه**، ويسع للعالم أن يلج هذا الباب بحذر إن أوتي علما راسخًا في التأويل، وفهما ثاقبًا في كتاب الله، وتمرسا مأمونًا في فنون العلم، **وقد كان شيخنا -تقبله الله- يقول في العاديات والموريات والمغيرات والمثيرات النقع والمتوسطات الجمع؛ أن المراد بهم رجالات الجهاد الإنغماسيين، وفرسان الاستشهاديين في الجماعات**

الجهادية المعاصرة، فإنهم يعدون عـدوا حـتى يصـلوا إلى أهدافهم، ثم يـورون النـار بـالرمي والتفجـير في مراكـز أعدائهم، ثم يغير الانغماسيون منهم مصـبحين العـدو في عقـر داره، فتثـير عمليـاتهم بالمكـان المسـتهدف غبـارا ودخانا كثيفا، ثم يتوسطون مراكز الأعداء فيقتلون فيهـا مقبلين غير مدبرين.

قال مقيده عفا الله عنه: ويستشهد لصحة ذلـك بمـا روي عن السـلف من أن المـراد بالموريـات والمغـيرات أنهم رجال الحرب، فقد روى الثعلـبي في تفسـيره عن سـعيد بن جبـير أنـه قـال في الموريـات: (هم رجـال الحـرب)، وروى ابن جرير عن سعيد بن جبير عن ابن عبـاس قـال: (سـألني علي بن أبي طـالب رضـي اللـه عنـه عن (وَالْعَادِيَـاتِ ضَـبْحًا فَالْمُورِيَـاتِ قَـدْحًا) فقلت لـه: (الخيـل تغـير في سـبيل اللـه، ثم تـأوي إلى الليـل، فيصـنعون طعامهم ويورون نارهم).

قال ابن القيم معلقا: (وهذا إن أريد به التمثيل وأن الآية تدل عليه فصحيح، وإن أريد به اختصاص الموريـات فليس كذلك، لأن الموريات هي العاديات بعينهـا، ولهـذا عطفهـا عليه بالفاء التي للتسبب، فإنها عدت فأورت...).

وروي عن علي والقرظي أنهم قالوا: (هم الحجاج يورون نـارهم بمزدلفـة)، قـال ابن القيم معلقـا: (وعلى هـذا فيكون التقدير: فالجماعات الموريـات ...)، ثم انتقـد ابن القيم هـذا القـول، وقـرر أنـه خلاف الظـاهر، وروى ابن جرير وغـيره من طريـق سـعيد عن قتـادة في الموريـات فقال: (أغار القوم بعد ما أصبحوا على عدوهم)، والمراد بالقوم رجال الحرب، وقد رجح ابن جرير القول بـالعموم في معنى الموريـات والمغـيرات، وصَّـوب أن كـل موريـة

ومغيرة داخلة فيما أقسم الله به، وهذا ما يذهب إليه شيخنا وعامة شيوخنا في التفسير.

والمقصود من إسهاب الكلم في هذا المبحث: **بيان أن الآية تحتمل وجها جديدا مبنيا على قول قال به بعض السلف، وأن المراد بالعاديات الضابحات والموريات والمغيرات جماعات جهادية، وأنفس استشهادية**، والله تعالى أعلم.

وخلاصة القول في هذا المبحث أن الأقسام الثلاثة في السورة تحتمل في تفسيرها قولان:

قول بأنه قسم بحيوان.

وقول بأنه قسم بإنسان.

ثم اختلفوا في تعيين القولين على قولين، فالقائلون بالقول الأول منهم من قال: **هي الخيل تعدو وتغير في الجهاد.**

ومنهم من قال: **هي الإبل في الحج تعدو وتتوسط منى**.

وهما قولان صحيحان تدل الآية عليهما دلالة حقيقية.

وأما من قال بأنه قسم بإنسان، فهو حمل منه للعاديات على الموريات والمغيرات، فمنهم من قال كما نسبه ابن جرير الطبري لبعضهم: (**وقال آخرون: بل عني بذلك الذين يورون النار بعد انصرافهم من الحرب**)، والمراد بهم جماعات الجهاد ورجال الحرب يورون النار في مراكز العدو، وقيل بل يورونها لطعامهم وحاجتهم، ومنهم من يقول بقول علي رضي الله عنه: (**هم الحجاج يورون نارهم ليلة مزدلفة لصنع طعامهم)**.

وأما شيخنا فإنه يثبت ذلك كله ولا ينفيه، غير أنه يبني عليه جواز حمل الآية على معنى جديد معتبر، لا يعود على ما جاء عن السلف بالإبطال، ويرى أن جماعات المجاهدين، وكتائب الانغماسيين وفرسان الإستشهاديين

في عصرنا الحاضر داخلون في مدلول الآية والسورة دخولا أوليًا، وأن لهم حظا كبيرا مما جاءت به السورة من التشريف والتفخيم والتعظيم، وبهذا البيان يظهر ما لقول شيخنا الشهيد من الحظ والوجاهة والنظر، والله تعالى أعلم.

هنا ينتهي مطاف السورة عن مضمونها وبابها الأول المشتمل على **الأقسام الثلاثة**، **الحاوية للمبادئ الأساسية الصانعة للنفس الانغماسية**، ثم تمضي السورة لبابها ومشهدها الثاني، وهو مشتمل على **التوبيخات الثلاثة** **التي توبخ النفس الكنود البخيلة بروحها من أن تجود بنفسها فداء لله عز وجل**، فيقول تعالى في سياق جواب القسم بالعاديات والموريات والمغيرات:

(إن الإنسان لربه لكنود) أي: لكن الإنسان لنعم ربه التي لا تحصى **لكفور غير شكور**.

وهذا من أفتك الأمراض القلبية التي تعتري الإنسان، وهو **مرض كفران نعم الله**.

وكنود النفس يكون بأمور عدة، منها نسبة النعم للنفس، أو للأسباب الدنيوية، أو للجهود الذاتية، ويكون أيضا بنسبتها إلى الآلهة الباطلة، ويكون الكنود أيضا باستعمال نعم الله في غير مكانها اللائق بها، **وشَرُّ الكَنَدِ الكفر الأكبر بالله، والشرك به، والخروج عن طاعته.**

ومقصود الآية فيما يظهر -والعلم عند الله-: تشجيع الإنسان على القيام بالعمليات الانغماسية، والهجمات الفدائية في أعداء الله المحاربين لدين الله.

بيان ذلك فيما يظهر -والعلم عند الله-: أن السورة سيقت لبيان أن خصال الخيل في الوفاء وشكر المُنْعِمِ عليها خير من خصال كثير

من البشر، فهي تشعل لهيب صدرها ببـذل غايـة جُهـدها جريـا حـتى يسمع منها صوت الضبح، ثم تشعل شـرر النـار بصـك أقـدامها بكـل قوة مغررة بنفسها بإيراء بالقدح، ثم تتبع ذلـك بالإغـارة البـاكرة في الصبح، فتثير الغبار على نفسها وعلى غيرها في سـاحة الحـرب، ثم تنغمس في وسط جمـوع الأعـداء مرخصـة نفسـها لصـاحبها المنعم عليها، **كل ذلك وفاءً وشكرًا لرب أنعم عليها بمـاء وشـعير، لكن حال الإنسان ومستوى علاقته مـع ربـه مغـاير لحـال الخيـل تمـام التغـاير، رغم كـل النعم والخـيرات الـتي أعطاها الله للإنسان، فالإنسان كفور جحود لأنعم ربـه، لا يشـكر الفضـل، وهـو شـديد التنكـر لربـه، يعـد المصـائب وينسى النعم، فلماذا أيها الإنسان لا تبـذل نفسـك لربـك كبذل الخيول نفوسها لأربابها وفاء وشكرا ؟!.**

لهذا خلص شيخنا إلى أن مقصود السورة فيما ظهر لـه - والعلم عند اللـه-: تشـجيع الأمـة على الجهـاد والعمليـات الاستشهادية، وبذل نفوسهم وطاقاتهم في سـبيل اللـه، وهذا المقصود دلالته ظاهرة على مـا بينـاه بمـا لا يحتـاج معه إلى كبير تعسف وتأويل.

كما يظهر أيضا والعلم عند الله أن خير ما تفسر به لفظة (الكنود) من القرآن، قوله تعالى: (مناع للخير معتد أثيم)، وعليه فالراجح أن العبد لا يسمى كنوداً حتى يكون مناعـا للخير عن غيره، فلا يعطي الغير ما أوجبه الله عليه، معتد على الخالق والمخلوق، أثيم النفس بشـديد جحـده وعـدم شكره.

وقد تكون آية الكنود تعريضا بـالقوم المغـار عليهم لكفـرهم بـأعظم نعمة إلهية وهي نعمة الإسلام والإيمان، وتعـريض أنفسـهم وحيـاتهم الدنيوية والأخروية للأخطار.

قوله تعالى: (وإنه على ذلـك **لشهيد**) أي: وإن الإنسـان الجحـود الكنود **لشاهد على بخله وكنوده بنفسه**، فهـو مقـرٌّ أنـه كفـور غير شكور لأنعم ربه.

فعجبا لهذا الإنسان، لا يحتاج مرضه إلى شهادة طبيب، بل هو شاهد على نفسـه بـالمرض، فإنـه لا ينكـر ذلـك ولا يجحـده لوضـوحه على لسان حاله ومقاله.

وشـهادته على نفسـه تكـون ببينـتين: **بينة علميـة وعملية**، فـإن أعماله وسيرته أصدق شاهد على أنـه يصـرف نعم ربـه في غـير مـا يرضي الله عنه، وفي ضمير الإنسان ووجدانه شعور لا يغيب بشـديد تقصيره.

قوله تعالى: (وإنه لحب الخير **لشديد**) أي: وإن الإنسـان الكفـور **لشديد لحب المال**.

لذلك فهو شديد الحرص على جمع المال، والبخل به، وعدم إنفاقـه، **والمقصود من الآية بيان سبب مرض (الكنود) كي تتجنبـه النفس الانغماسية والروح الاستشهادية.**

ويحسن هنا التعريج إلى ساحة الوعظ والتزكية فيقال:

إن شدة حب المال سبب في نشوء مـرض (الكنـود)، وكـذلك شـدة حب المال هو أيضا مرض آخر، وسببه شدة حب الدنيا لـذاتها، وحب التنعم بلـذاتها، كمـا قـال العلامـة محمـد مولـود بن أحمـد فـال الشنقيطي رحمه الله في منظومته المسماة بـ (مَطْهَرَةُ القُلُوب):

وَأَصْلُهُ حُبُّ الدُّنَا لِذَاتِهَا أَوْ لِتَنَالَ النَّفْسُ مِنْ لَذَّاتِهَا

عالجُ بِمَن بِجَمْعِهَا قَدْ تَعِبُوا دَهْرًا طَويلاً فَحَوَوا ما طَلَبُوا

فبينما هُمْ دَارِجُوا مَرَاقِي زهرتِهَا إذ هجمت حَلَاقِ

وبازدِرَاءِ البُخَلاءْ وَبُغْضِهِم في الناسِ حتى بَعْضَهُم لبَعْضِهِم

وما بِهِ عَالجْتَهُ عَالِج بِهِ مَنْ كَانَ حُبُّ المالِ دَاءَ قَلْبِهِ

وهكذا شأن أمراض القلوب آخذٌ بعضها بحجز بعض، وكل مرض ينتج عن مـرض آخـر، فليبـادر المـرء بتزكيـة قلبـه من شـوائب أمـراض القلوب، ولينصب الكمائن في كل سبيل للشيطان الرجيم، وليضـيق عليـه دربـه وخطـوه، فـإن دربـه ومجـراه في مجـرى دم ابن آدم، والعاجز من يبتغي دفع العدو الصائل الخارجي، وينصب الكمـائن في طريق العدو، وأرتال الشياطين تسيح وتسـبح في دمـاء عروقـه من قدمه لرأسه لقلبه، وهو لا يضيق على الشيطان مجراه بصـوم يـوم، ولا ينسفه عن نفسه بذكر الله، والله المستعان[5].

فيا أخا الثغر .. بئس المجاهد أنت إن لم تعتن بإصلاح وترقيق قلبك، والأخذ بالزهد منهاجا لدربك.

يا أخا الثغر .. خبت وخاب مسعاك إن هجرت غذاء القلـوب والقيـام بالليل لعلام الغيوب.

يا أخا الثغر .. في القاعدين عن الجهاد ممن حبسهم العـذر، من هـو أقرب إلى الله منك، دموعهم على الخدود جارية، وهم قيام عند كل

---

[5] ينبغي للعامل لدين الله أن يبادر بتزكية نفسه وتهذيب أخلاقه بطريقة التزكية الثلاثية، وهي معرفة المرض القلبي أولا، وذلك بتشخيصه ومعرفة كنهه، ثم معرفة سبب هذا المرض وباعثه الذي نشأ عنه، ثم معرفة دوائه وكيفة علاجه والشروع في مدواة النفس، وهي طريقة القرآن في التزكية والتربية، كما يظهر جليا في سورة العاديات وغيرها من آي الكتاب الجليل، وقد كان الشيخ الشهيد عطية الله الليبي - رحمه الله - يوصي الشباب كثيرا بمدارسة آيات القرآن المختصة بأمراض القلوب، مع منظومة (مطهرة القلوب) للعلامة محمد مولود بن أحمد فال اليعقوبي الشنقيطي - رحمه الله -، ويوصي أيضا بتجنب ما فيها من الزلل الصوفي مع التنبيه عليه، وهو قليل الوجود، ونادر الورود في نظمه، وأجل ما يمتاز به هذا النظم اعتناء صاحبه بهذا البيان الثلاثي لمداواة القلوب، ولهذا قال في مطلع منظومته:

عرفان أمراض القلوب وسبب كلٍّ وما يزيله عينًا وجب

سارية، فلتستنهض في قلبك الحياء من ربك، وعلى عفو الله المعوَّل.

وعودًا من لما كان الكلام بصدده يُقال: **إن الراجح في الآيات الثلاث الماضيات اتساق الضمائر في آياتها كلها، وكذا اتساقها في التقديم والتأخير، وكذا كونها كلها واقعة في الحياة الدنيا، وهذا الاتساق أليق وأرنق بتأويل الكتاب، فالضمائر الثلاثة كلها تعود للإنسان بناء على قاعدة (صيانة الكلم من تفكك ضمائره)، فتُحمل الضمائر المتوالية على الاتساق الذي هو أولى من حملها على الاختلاف، لعودها على الظاهر أول الكلام دون الحاجة إلى التقديم والتأخير، وكذا في حمل التقديمات والتأخيرات المتوالية بناء على قاعدة حسن التشابه والتناظر في بلاغة الكلم، والمقصود: الإخبار بأن الإنسان كنود لربه، وأن الإنسان شهيد على كنوده، وأن الإنسان شديد الحب للمال، فأخبر عنه بثلاث تكون في الدنيا: أنه كنود وأنه شهيد وأنه شديد الحب للمال، وهذا مذهب سيدنا ابن عباس رضي الله عنه كما رواه عنه ابن المنذر في تفسيره، من أن هذه الضمائر عائدة على الإنسان، وأن الإنسان شاهد على كنوده بنفسه، وهو أيضا قول ابن كعب القرظي كما رواه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره، والفائدة من ذلك المزيد من تقريع الإنسان الكنود، وتخويفه بأن نفسه كانت قد شهدت عليه في الدنيا، وسوف تشهد عليه في الآخرة أيضا والعياذ بالله، فالشأن في التنصيص على ذلم هاهنا كالشأن في قوله تعالى: (شاهدين على أنفسهم بالكفر)، وقوله (بل الإنسان على نفسه بصيرة)، ففيه مزيد تقريع دنيوي وتخويف أخروي والله أعلم.**

وبهذا ينتهي مطاف المشهد الثاني من هـذه السـورة الجليلـة، **وقد عرفنا أن الموضوع فيه يـدور على تقريـع النفس الكنـود بالتوبيخات الثلاثة: (الإنسان كنـود لنعمـة ربـه – الإنسـان شـاهد على نفسـه بأنـه كفـور – الإنسـان شـديد الحب للمـال)، وتضـمنت أيضـا تشـجيع النفـوس البشـرية على الجهـاد والقتـال، وبـذل الـروح وفـاء للـرب جـل جلالـه بعمليات انغماسية في أعداء الله، وتحذير البشـرية عامـة وذوي النفوس الانغماسية خاصة من أهم أمراض القلوب وهما: (كفران النعم – والحب الشديد للدنيا).**

ونزدلــف الأن للبــاب الثــالث الأخــير من الســورة، وموضــوعه: **(الزواجر الثلاثة)، وتتضمن بيان العلاج الشـامل والأكمـل لمرض الكنود، والترياق الأمثل لداء كفران النعم**.

قولـه تعـالى: **(أفلا يعلم إذا بعـثر مـا في القبـور)** أي: **أفلا يدري هذا الإنسان الكنـود مـا مصـيره إذا قلَّب الله** مـا في القبور من عظام نخرة، وأجساد باليـة، فأثارهـا وبعثهـا وأخرجهـا من باطن الأرض، وأحياها للحساب والجزاء؟!.

ومقصود الآية فيما يظهر -والعلم عند اللــه-؛ حث النفس البشرية لتصحيح مسارها في معاملتها لربهـا جـل جلالـه، وزجرها عن كفـران النعم والحـرص والبخل، وعليـه فيكـون **ذُكر الآخرة والبعث والجزاء هو** العلاج الأول لمرض الكنود.

ثم قال تعـالى**: (وحصِّل مـا في الصـدور)** أي: وهـل جهـل هـذا الإنسان الكنود ما عاقبة أمره إذا **استخرج الله وكشـف مـا في صـحائف أعمـالهم ممـا اسـتتر في القلـوب من خفايـا النيات، وأسرار الغايات والاعتقادات، والإيمـان والنفـاق، والحب والبغض.**

ومقصود الآية زجر الإنسان وترهيبه بفضح أسراره في يوم الحساب، وعليه فيكون **ذُكر فضح السرائر وإبراز الضمائر يوم الحساب** هو العلاج الثاني لمرض الكنود.

وهذا كقوله تعالى: (يوم تبلى السرائر).

ومما يلفت الإنتباه هنا؛ حسن التقابل في السورة، فحينما أخرجت العاديات الضبح من صدرها، ناسب أن يذكر الله عز وجل بعده إخراج ما في القبور وما في الصدور للبعث والحساب والنشور، ولله الحكمة البالغة.

ثم قال تعالى**: (إن ربهم بهم يومئذ لخبير)** أي: إن خالقهم ورازقهم ومربيهم لعليم بجميع أعمالهم وأقوالهم ظاهرها وباطنها في يوم القيامة، فهو مطلع عليها تمام الاطلاع والمعرفة.

وفي آخر السورة اعتناق بديع بين إظهار الجسد والمعتقد، ففيه الإشارة إلى إظهار الجسد للبعث والنشور، وإظهار المعتقد للحساب والجزاء، ونظير ذلك ما جاء في سورة الكهف في بيان أن سلطة الطواغيت والملوك تقع على إفساد هذين الأمرين، قال تعالى: (إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم)، فهذا فيه فساد الجسد وبه تنال الشهادة في سبيل الله، ثم قال تعالى: (أو يعيدوكم في ملتهم)، وهذا فيه فساد المعتقد، وبه يكون الحور بعد الكور عياذا بالله، وهو أشد وأنكى من الأول، ولهذا قال تعالى عقبه: (ولن تفلحوا إذا أبدا).

من فقه الآيات وهداياتها

1- في السورة من الفقه المستنبط والهداية؛ **تعظيم شأن الجهاد، والتنويه بفخامة المجاهدين، وتفخيم شأن آلات الجهاد وأدواته**، لأن القسم يساق في كتاب الله للتعظيم والتفخيم في الأغلب، أو لبيان أهمية المقسم به ومنافعه لتوجيه البشر إليها، **فإذا أقسم الله بخيول المجاهدين التي هي أجل آلات الجهاد تفخيما لشأنها، فمن باب أولى تفخيم شأن المجاهدين أنفسهم، وبيان عظيم شرفهم وعلو قدرهم.**

2- وفيها من الفقه والهداية؛ **وجوب العناية بمفاتيح الفتح والنصر، ومن أهمها صناعة النفس الانغماسية**، وذلك بتربية المجاهدين على المبادئ الجهادية التي تضمنتها آي العاديات، بدلالات المطابقة والاقتضاء والتضمن، وبدلالة النص وفحوى الخطاب والإشارة، ومنها الحماسة والشجاعة، وقوة القلب والبدن، والمبادرة وشدة الاندفاع، واللياقة والرشاقة والسرعة، والتأثير في الآخر، وإرخاص النفس وبذلها طلبا للشهادة في سبيل الله.

3- وفيها من الفقه؛ **وجوب التأهب الدائم للجهاد في سبيل الله، والاستمرار في الإعداد العسكري له، وإلهاب النفوس للجهاد، وتهيئة النفوس للانغماس في أعداء الله**، وقد فسر بعض العلماء قوله عليه الصلاة والسلام: "وأنفق الكريمة" بإنفاق النفس في سبيل الله، وهو المراد بحديث: "فلم يرجع منهما بشيء".

4- وفيها من الفقه؛ **توعية العبد بمآلاته في الدنيا الآخرة** وما فيها من حساب وجزاء، دفعا له على تصحيح مساره الدنيوي في تعامله مع ربه عز وجل، ولتذكير العباد بالبعث والنشور دور جليل في ضبط سلوك الإنسان وتصحيح مساره.

5- وفيهـا من الفقـه؛ **الحث على نفع الأغيـار، والقـرب من الأطهـار والأخيـار، والتجـافي عن الأشـرار**، فالانسـان الكنود كالأرض الكنود التي لا تنبت خيرا قط، وعلى قدر القرب من المنهل العذب تشتد خضرة النبت الحسن.

6- وفيهـا من الفقـه؛ **أن من أعظم أسـباب تيسـر النفـير للجهـاد والهجـرة؛ الزهـد في الـدنيا، وتـذكر الآخـرة**، فيكـون الأخـذ بهمـا من عـزم الأمـور، **وكـذلك فـإن في السورة ترغيب المـؤمن بالزهـد في الـدنيا، والرغبـة في الآخـرة وهمـا من أهم مـا ينبغي على المجاهـد الأخذ به في مهيع الجهاد في سبيل الله**.

7- وفيها من الفقه؛ **وجوب الجمع والأخذ بالجهادين الأصغر والأكبر معا؛ جهـاد النفس الـروحي؛ وميدانـه النفس البشـرية، وجهـاد الكفـر العـالمي؛ وميدانـه سـاحات الحرب مع المعتدين**، وفي السورة إشارة إلى أهميـة إعـداد العدة والآلة في هذين الجهادين.

8- وفيها من الفقـه؛ **وجوب العنايـة بـإعلاء الهمـة والـرقي في المـراتب الإنسـانية العليا، بالأخـذ بكـل أسـباب تنميـة النفس البشـرية**، دليـل ذلـك المقارنـة بين مشـهد الخيل ومشهد الإنسان، فمشهد الخيل تنموي ارتقائي، ومشـهد الانسان رجعي تخلفي.

9- وفيها من الفقه؛ **وجوب العناية بالوعظ والتزكيـة ضـمن السياق الجهادي**، فالسـورة مفتتحـة بمشـهد جهـادي مثـير، حيث العَدْوُ السريع والضـبح، والإيـراء والإغـارة والانغمـاس، ثم أعقب ذلك المشهد الخـاطف سـياط الوعـظ والتـذكير لتطمئن القلوب، وتسكن بذكر علام الغيوب.

10- وفيها من الفقه؛ **وجوب العنايـة بإرهـاب العـدو بكـل مـا يبيحه النقـل ويتيحـه العقل**، بـدليل إيـراء القـدح، وإثـارة النقع، وتوسط الجمع.

11- وفيهــا من الفقــه؛ **بيــان طريقــة القــرآن في عــرض الخطاب والدعوة**، فأول القرآن إجمـال بسـورة الفاتحـة، ثم تفصـيل بـالطوال والمـئين والمثـاني ثم يعـود الإجمـال في المفصـل، **وهـذه قاعـدة من قواعـد البيـان القـرآني**، وسورة العاديات إجمال وتلخيص لما في القـرآن كلـه من ذكـر المشاهد الثلاثة؛ مشهد الحروب بإيجاز، ومشهد الحياة الدنيويـة بإيجاز، ومشهد الحياة الأخروية بإيجاز.

12- وفيهــا من الفقــه؛ **الحث على تنظيم الــوقت وكســبه، والتبكير بالأعمال الصالحة**، بدلالة لفظة الإصباح.

13- وفيها من الفقـه؛ أن **دواء السماء أنجـع علاج، وتشـخيص القـرآن للـداء أصـدق تشـخيص**، فمن ابتغى صـلاح قلبـه وعمله فطبِّه الكتاب، ومن أصدق من اللـه حـديثا، ومن أصـدق من الله قيلا.

14- وفيها من الفقـه؛ **الجمـع بين أعمـال الجـوارح وأعمـال القلــوب لا ســيما في الجهــاد، وضــرورة العنايــة بالأعمــال القلبيــة ومخزونــات الصــدور**، فــإن الصــدر مستودع النيات، وأسرار الدنيا علانيةٌ في الآخرة.

15- وفيها من الفقه؛ **وجوب العناية بصحة التنفس، وسـلامة الأقـدام، وقـوة البـدن والقلب للمجاهـد في سـبيل الله**، بدلالـة أن الصـدر والقـدم والقلب كـانت محـط النظـر والذكر في السورة.

16- وفيهـا من الفقـه؛ **وجوب العنايـة بسـلامة آلات الجهـاد، وحسن تعهدها وصـيانتها**، وكم من سـلاح توقـف وتعطـل رميه حال القتال بسبب التقصير في ذلك.

17- وفيهـا من الفقـه؛ **اشـتمال السـورة على قواعـد حـرب العصابات الناجحة**، بدءًا من الإخلاص والتوكل على اللــه، ثم إعـداد العـدة، فالتحشـيد، ثم انطلاق المسـير ليلا أو بغلس، ثم السـرعة فالمباغتـة، ثم التصـبيح والتغبـير لإرعـاب الأعـداء، ثم

توظيف العمليات الإنغماسية والإستشهادية في الفتك بالعدو، ثم النصر المؤزر بإذن الله.

18- وفيها من الفقه؛ **وجوب العناية بالمهارات القتالية، والأدوات الحربية**، فإن الله عز وجل لم يقسم بجمال الخيل وزينتها وحسن شكلها، **بل كان محل القسم مهارات الخيل وصفاتها المؤثرة في القتال والجهاد، كالسرعة والمباغتة، واستراتيجية الهجوم والانغماس في بيضة العدو**.

19- وفيها من الفقه؛ **ما أشار إليه بعض المفسرين من أن حكمة إثارة النقع؛ تعمية الرؤية وخداع العدو حال**، فإنها مربكة له ومهلكة.

20- وفيها من الفقه؛ **تهيئة نفوس المجاهدين لما يستقبلونه من الحرب بالإعداد العسكري**، فإن من حكم نزول هذه السورة بمكة قبل أن يفرض القتال؛ لفت أنظار الصحابة إلى ما سيستقبلونه في المدينة بعد الهجرة، ففيه إشارة لهم بوجوب العناية بآلة الحرب الأولى -وهي الخيل عندهم-.

21- وفيها من الفقه؛ **اهتمام القرآن بلفت الأنظار إلى مسببات الهيمنة والتفوق على الأعداء، ولهذا وجبت العناية بسباق التسلح[6]، ومواكبة التطور العسكري والتقني، والتزام الحداثة في الوسائل والآليات**.

22- وفيها من الفقه؛ **استثارة القلوب لمحبة آلات الجهاد**، بدلالة الإقسام بها، وقد جاء في السنن أنه لم يكن شئ أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النساء من الخيل.

23- وفيها من الفقه؛ **التأكيد على إحاطة علم الله ظاهرا وباطنا، ففيه الحث على استدامة المراقبة والخشية**

---

[6] روى ابن أبي شيبة في مصنفه من طريق حنش الصنعاني قال سمعت ابن عباس رضي الله عنه يقول في قوله تعالى: (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية ...) قال: "على الخيل في سبيل الله"، هذا في النفقة على آلات الجهاد، فكيف بالنفقة على المجاهدين أنفسهم.

من الله لتحسين سلوك العبد، فإنه خبير بكل شيء، والخبرة هي الدقة في العلم والمعرفة.

24- وفيها من الفقه؛ **استحباب اختيار الأوقات المناسبة لشن الغارة والهجوم على العدو حال غفلته**، والتصبيح أوفق بالكتاب والسنة، وإلا فبعد الزوال، والمقصود امتلاك عنصر المفاجأة والمباغتة.

25- وفيها من الفقه؛ **استحباب النفير لمداهمة العدو وطلبه في عقر داره، وهو دأب الأنبياء والسلف الصالح**، {قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}.

هذا ما فتح الله به على أحقر عباده في تأويل آي العاديات، وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتقبل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يرزق صاحبه الشهادة الصادقة الخالصة في سبيله، وليكن هذا آخر القول في هذا الجزء، والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا على ما يسر ووفق وأعان، وصلى الله على سيدنا محمد خير البرية، وعلى آله وأصحابه ذوي النفوس الانغماسية الزكية، وسلم تسليمًا.

الفهرس

